تسع بنادق فقط

مسرحية في ثلاثة مشاهد

بقلم : خليل هنداوي

الاشخاص

حسان
طارق
خالد
من الحرس الوطني

فويد معلم القرية
سلمى زوجته
آمر الكتيبة الاسرائيلية ومعاونه

— ١ —

حسان : لا ادري لماذا ينقبض قلبي هذا المساء ؟

طارق : إنني اشمّ في لحمي ريح التراب

خالد : أشعر ان دمائي تكاد تتوقد في عروقي .

حسان : إن شعوراً غريباً يعتريني الليلة ، لم يسبق ان احسست به .

طارق : الليل هادىء تتلامح نجومه فوقنا ، ومع ذلك يخيّل إليّ انه يتحرك ويضطرب ، ويثور .

خالد : لقد نامت القرية في ذمة تسع بنادق فقط .

حسان : ويا ليتها بنادق تامة !

خالد : البنادق التامة تنام في العنابر .

حسان : لتخرج ايام الاعياد لامعة !

خالد : بل ليتها استكملت رصاصها

طارق : هبْ ان اليهود هجموا بغتةً علينا !

حسان : هل يمكنهم ان يفعلوا ؟ إنهم يخشون حلفاءنا .

طارق : ألك ثقة في ان احلافنا سينجدوننا ؟

حسان : واجبنا ان نقف هنا .

خالد : سمعاً يارفاق ! كأني استمع الى جلبة بعيدة ، الى ضوضاء في احشاء الليل .

طارق : كأنني اسمع مثلك حسيساً من تلك الناحية .

حسان : من الارض الحرام ؟

خالد : وهل هنالك ارض حرام ؟

حسان : ما هذه الهواجس الليلة ؟ اتكئوا قليلاً على بنادقكم !

طارق : دعونا ننام على الربوة ! إنها تمنعنا من غدرهم .

خالد : قعقعة مصفحات تقترب ! أنذر بقية الرفاق بصفير الخطر ! ليكونوا على حذر

طارق : إن نبأ هذه الليلة عجيب . لعلهم يقومون بمناورات ليلية !

(صفير قنبلة)

حسان : الى الخنادق ! انهم يقصدون القرية .

طارق : وهل رصاصنا يكفي ؟

حسان : اثبتوا حتى تأتي النجدة ، الحرس قريب منا ، والجيش ، والقرى ، سيسمعون ما نسمع ، فيهرعون الينا .

طارق : لنأخذ مسالك الطريق الى القرية ، كل رصاصة برجل .

خالد : لعل رجالهم أوفر عدداً من رصاصنا . أطلق اشارة الخطر !

حسان : كيف أُعطي إشارة الجبن والخوف ؟ نحن هنا ، لهم بالمرصاد . نصدهم كما صددناهم من قبل .

خالد : ويحك ! أضىء القذيفة الحمراء !

حسان : ان الضوضاء تقترب . طارق ! أنذر القرية بان تهب من نومها ، ويهجروا مساكنهم الى الحقول .

(ينطلق طارق)

خالد : انهم مقبلون ، ورصاصهم بدأ ينهمر علينا .

حسان : إجعلوا الاصابة سديدة ، كل رصاصة تصيب تنجّي نفساً من انفسنا .

خالد : ولكن ليس المهاجم بالعدد القليل . ألمح طيفاً يتسلل الينا .

حسان : ذلك ربيئة لهم . النارَ .

(يصيبه)

خالد : إنه يتدحرج نحو قومه .

حسان : كأننا في معركة حقيقية .

خالد : تسع بنادق فقط تتصدى لهم

حسان : ان مصفحاتهم التفتت نحو بيوت القرية تضربها . العويل ، البكاء ، العواء كأنهم يريدون ان يلتجئوا الى الربوة

خالد : إن اهلي فيهم ، دعوني أراهم

مهداة الى ارض « قبية » الشهيدة « خ . ل »

حسان : لا تبرح المكان، الكل اهلنا.

خالد : أسمع وراء الربوة حركة .

حسان : لعلهم جندنا أتوا لنجدتنا . يا للظفر إذا صدقت النجدة !

خالد : إنهم اعداؤنا انفسهم يحيطون بنا من ورائنا

حسان : أين نجدة رجالنا ؟

خالد : أظنهم لن ينجدونا إلا أمواتا.

حسان : لنقاتل إذاً وحدنا ! لن يستولي العدو علينا إلا اشلاء مبعثرة .

خالد : ولن يحتلوا القرية إلا رماداً. أطلب النجدة مرة ثانية ! إننا محاطٌ بنا من كل مكان .

حسان : طلبتها مراراً ، ولكن، لن يأتي احد الينا . دعهم نائمين !

صوت اسرائيلي بالميكروفون : ألقوا سلاحكم إذا أردتم سلامة أرواحكم !

خالد : انهم يطلبون الينا ان نلقي سلاحنا لسلامتنا .

حسان : ويحكَ ! ألكي نموت بأيديهم موت النعاج بيد جزّارها ؟ الأفضل ان نموت واقفين لا نائمين .

خالد : ولكن ماذا تجدي المقاومة؟

حسان : أنظر ! من ، هناك ، يتسلل الينا ؟

خالد : كأني به طارق ..

حسان : إنه هو . ما وراءك ؟

طارق : ويلتاه! القريةُ تدكّ بيوتها. القذائف تهوي عليها من كل جانب ، ورصاص الغادرين يحصد الهاربين .

خالد : هل رأيت زوجتي ، وصغيري؟ ويحكَ تكلم !

طارق : كان هناك ، صغير يتمرغ باكياً على صدر امرأة مطروحة ، ويداه ملطختان بالدماء . أردت ان افعل شيئاً .. ثم حال بيني وبينهم دورية يهودية . ولا ادري بعد ذلك ..

خالد : إلهي ! أفي لحظة واحدة تطوى السماء والارض عن عيني ؟

حسان : لا يزال المدى يتسع لك للانتقام !

خالد : وأنّى لي ان انتقم ؟

طارق : ألم يأت احد لانقاذنا ؟

حسان : لم يسمعوا صوت استغاثتنا

خالد : ألم يسمع الاحياء منهم وقد سمع الموتى ؟

حسان : ليس معنا الان إلا أطياف الشهداء الذين يمشون على خطى بطولتنا.

طارق : أحقاً تحاول ان تثأر ؟ ان كتيبة يهودية تحوم حول مدرسة القرية.

خالد : انهم سيمثلون بمعلمها «فريد» وزوجته وأطفاله .

حسان : يا للفاجعة ! أنّى لنا أن نستنقذهم ؟

خالد : تستطيع ان تعتمد عليّ في استنقاذهم.

حسان : ولكن كيف تقاوم عصابة مسلحة ؟

خالد : سأفاجئهم... ومعي طارق.

طارق : أنترك حسان وحده ؟

حسان : ان لحظات حياتي اصبحت معدودة . ان الربوة ستمتصُّ دمائي ، ثم تجف . سأبقى ، هنا ، مشغلة للعدو

خالد : سر امامي !

طارق : أتثر بالمرأة وطفلها ؟

خالد : الرصاص يشتد عواؤه علينا.

طارق : اتّقِ نفسك ! لا تطلق أنت شيئاً ! ان النار تهديهم الينا !

(رصاصة تصيب خالداً)

خالد : ويحَها من طلقة طائشة تريد أن تداعب يدي! إنها لم تصب لبدة الأسد.

طارق : دم يسيل ... دعني أشد المنديل عليها !

خالد : لا بأس.. ما دامت اصابعي تتحرك . ان الدم الحار يعشق ريح البارود .

طارق : لنسر بحذر ! والآن ، قل لي كيف تعمل على استنقاذهم ؟

خالد : لن يشعروا بنا الا وافواه البنادق مشرعة في صدورهم .

طارق : طريقة محفوفة بالخطر . ولكن ، أتظن أننا نستطيع الوصول بسلامة ؟

خالد : وأنت تنتظرني هنا حتى أعود!

طارق : ولكن ...

خالد : أتظنني لن اعود ؟ إذاً يكون الاحتجاج أشد لهجة من سوابقه .

طارق : ليتهم يكتبونه هذه المرة بدمائنا !

(طلقة تصيب طارقاً)

آه ! أصابتني الملعونة . أكمل سيرك وحدك ، وكن حذراً !

خالد : ولكن ، لا عليك .

طارق : لم تدعني أقوم بواجبي .

خالد : ما بك ؟ طارق ! طارق ! إنه أغمض عينيه . تتحدر بقية أنفاسه على يدي ... لقد كتبته هذه المرة بدمك ، ولكن هل يحسنون قراءته ؟ سأسير للثأر لي ولك ...

— ٢ —

« دورية اسرائيلية تقتحم مدرسة المعلم فريد في قبية »

سلمى : لقد حطموا الباب .

فريد : انهم هم .

سلمى : صغارنا ؟

فريد : دعيهم ثائمين !

آمر الدورية : أيديكم !ماذا تحملون؟

فريد : القلم.. الأوراق .. الكتب !

الآمر : سمعناعنك أنك من المحرضين على قتالنا

فريد : لي الفخر بذلك . تمنيت لو أكون من المقاتلين .

الآمر : هـا ... هـا ... اعتراف خطير . إننا نحاكم الانسان باعترافاته. هل تدري ماذا حدث بالقرية ؟

فريد : دكتها عدالة هيئة الامم ، وضمير العالم الانساني الذي اشتريتموه.

الآمر : أصبحتم الآن احسن فهماً وتقديراً للواقع. انما اعداؤكم اصدقاؤكم.

مساعده : لا شك أنك حريص على حياتك وحياة اسرتك .

فريد : ضمن الكرامة .

الآمر : يسأل عـن الكرامة ... لك ذلك على شرط واحد .

فريد : بالخيانة طبعاً .

الآمر : نريد منك ان تعطينا اسماء الحرس الوطني ، وعددهم .

فريد : لا أعرفهم .

الآمر : أظن السياط تجعلك تعرفهم.

فريد : لم يعـد لنا من جلود تشعر بالألم .

المساعد : اضربوه ... أوجعوه .

(وقع السياط)

سلمى : ويلٌ لكم ! هل صنـــع النازيون هكذا بكم ؟

المساعد : قيدوا هذه المرأة النازية !

الآمر : حسن ... كفى ! ان لدينا مـــكافأة حسنة لك اذا أجبتنا . ونقسم لك بشرف اسرائيل ان نصون حياتك وحياة اسرتك .

فريد – لقد هيأنا انفسنا للموت ، ولبسنا اكفاننا .

سلمى : نحن مستعدون للموت. هل عندكم من جديد؟

المساعد: انهم يتحدّون قوة اسرائيل.

فريد : لن تجدوا صغارنا وكبارنا ، رجالنا ونساءنا أقل حباً للموت منكم.

الآمر : ماذا تنتظرون ؟

فريد : لقد قطعنا رجاءنا من كل انسان ، حتى من العدل نفسه .

الآمر : كيف تريدون ان تموتوا؟ بمن تريد أن نبدأ ؟

فريد : أنا الاول .

سلمى : بل أنا الأولى ...

الآمر : بئس العدي اخترتماه ... لاموت قبل أن ترى أعينكم صغاركم يتمرغون بالدماء بين أرجلكم .

سلمى : لا ... لا ... لن تفعلوا ذلك . لا استطيع ان اتحمل . إنني ام قبل أن اكون امرأة .

الآمر : اقبلوا رجاءها ! أية ميتة يختارها لنفسه ؟

المساعد : نصلبـه على اعلى الربوة ليعلّم قومه بعد موته كما كان يعلمهم في حياته .

فريد : لعل هذا المصلوب يتحدث عن فظائعكم ! التمثيل بنا أجدر بكم .

الآمر : إنه يسخر منـا . إجعلوه مِزَقاً !

المساعد : سيسهل على قومه حملها الى هيئة الامم مع احتجاجاتهم .

فريد : لن يروعنا الموت... اقتلونا كما تريدون !

الآمر : اذبحوا الاولاد !

سلمى : اوّاه .. وما ذنبهم ؟

الآمر : سيكونون اعداء الغد لنا !

« صمت رهيب ، بينما تمتـد ايديهم لذبح الصغار » .

خالد : « من وراء النافـــذة التي كمن فيها »

رباه ! كيف اشعل الفتيل ؟ اننـا سنموت جميعاً . كيف اراهم يموتون ؟ تتخاذل يدي.. انه بدأ يحزّ عنق الصغير في مهده..انهم يضحكون ..يضحكون من الموت .. ولكن، بيدي لا بايديهم!

« يطلق القذيفة على البيت ، فتنفجر »

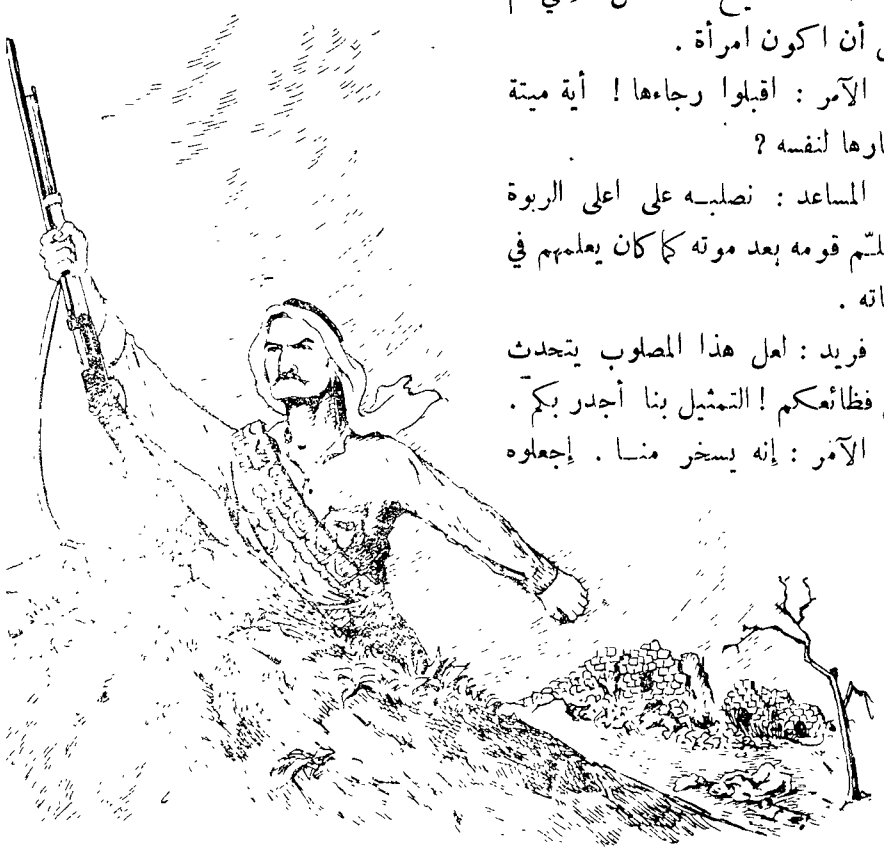

- ٣ -

« الفجر الشاحب يطلع على القرية الشهيدة ، والعمال يحفرون عن الجثث المطمورة »

حسان: احفروا هنا ! داخل جدران المدرسة ! لقد جاء خالد وطارق ينقذان معلم المدرسة عند السحر . . هل تجدون شيئاً؟

الحافر : « ضرب المعاول »

جثث مختلطة .. مشوهة . فيها ثياب اسرائيلية .

حسان: لقد فعلها إذاً . . احفروا ايضاً !

الحافر : جثة امرأة . . جثة جندي اسرائيلي . . جثة طفل لا تزال السكين حول عنقه . لكنها لم تذبحه .

حسان : لا بد ان يكونا معهم !

الحافر : تحت النافذة جثة حية تئن !

حسان : ويحكم ! انقذوها ! انه خالد . . وربي . . خالد .

خالد: اوف ! أكاد اختنق . من انتم ؟

حسان : اصدقاؤك في الجهاد .

خالد : حسان ! ألا تزال حياً ؟ انهم ماتوا جميعاً . . وطارق . . اين اليهود ؟

حسان: انهم انسحبوا عند مطلع الفجر .

خالد : بدون قتال ؟

حسان : لم يأت احد لقتالهم .

خالد : كالذئاب ، تفتك ليلاً ، وتهرب نهاراً . اين الرفاق ؟

حسان : كما عرفتهم . .

خالد : ذلك ما اردت . شكراً لقذيفتي التي قامت بالواجب المقدس .

حسان : هل تحس جرحاً ، او ألماً ؟

خالد: لم أحس الا سحباً من الدخان والغبار تتقاذفني . سمعت صياحاً وانيناً ، ثم ساد السكون .

حسان : هل انت متأثر لموتهم ؟

خالد: هذه الميتة التي كانوا يتمنونها ، اذا لم يموتوا ابطالاً فقد ماتوا شرفاء .

حسان : ولكنك كنت بطلا .

خالد : والآن ماذا تصنعون ؟

حسان : نرفع الأنقاض ، وننتشل القتلى والجثث من تحتها .

خالد : لماذا تكشفون عن قتلانا ؟ دعوهم تحت الانقاض ! أيعرضونهم على لجان التحقيق ؟ لقد ماتوا بأيدي اعدائهم ميتة واحدة ، فلا تميتوهم بايدي اصدقائهم مرتين !

حسان : ولكن العالم سوف يتحقق من قضيتنا المضطهدة .

خالد : اما كفاهم يسخرون منا ؟ دعوهم هنا حيث سقطوا ! اننا سنكسوهم لحماً ودماً ليقاتلوا معنا .

حسان : ولكنهم يريدون ذلك .

خالد : الميت الضعيف يكشف عن جراحه . دعوا جراحاتنا تنزّ دماً لنشعر بحموضة الدم في افواهنا وارواحنا . إنا سنقاتل ، وايدينا على الجراح التي فتحها الغدر .

حسان : انهم وعدونا بالانتقام لنا . وعدونا ببناء القرية والمدرسة .

خالد : لن نسمح ببنائها . سنسكنها وهي انقاض شاهدة . يطلع عليها الفجر خلل الدخان والرماد والدماء . إنها مدرسة الانتقام .

حسان : ومدرسة الصغار ؟

خالد : لن يجد الصغار فيها مدرسة . . مات معلمها ، وجاء معلم الثأر الذي لا يموت . انها المدرسة الكبرى . . مدرسة البطولة التي ماتت في الكبار ، ونمت جذورها في الصغار . مدرسة الدم الذي لطخ جدرانها . إنها مدرسة الانقاض .

حسان : والآن ، الى المدينة لتستريح فيها . .

خالد : لا يمكنني مغادرة هذه الانقاض . ان روحي تنفر من كل بناء . اصبحت روحي تحيا بين هذه الانقاض .

إنني اشم فيها ثرى البطولة ، وينعشني فيها ندى الدماء . فالى اين ترحلون بي ؟

حسان : الى القرية نفسها . .

خالد : لا نستجدي شفقة ولا رحمة ولا معونة . . نريد ان تستحيل البلاد العربية كلها انقاضاً . على هذه الانقاض وحدها تحل قضية فلسطين . هل يشعرون في البلاد العربية بذلك ؟ الارض ترتجف تحت اقدامنا وتهرب . انهم يحسبونها ترقص ، ولذلك ينتظرون . ان كل مدينة عربية سترقص هذه الرقصة اذا لم تتحرك .

حسان: إذاً ، لن نبرح مكاننا هذا ابداً .

خالد: ولن نرفع على هذه الانقاض قرية

حسان: ولن يجلو من السكان انسان .

خالد : ولن تكون ، هنا ، إلا مدرسة الانتقام . اين بندقيتي ؟

حسان : لم يبق من بنادقنا التسع إلا بندقيتك .

خالد : اغرسوها بين الأنقاض ! إنها جديرة بالحياة وحدها .

حسان : ستعود الى الربوة ، لتكون العين التي لا تنام

خالد : هنالك مساكننا الحية المضيئة . . . هيا يا حسان ! لنترك الموتى ينبشون عن الموتى . . . ألا نزال أحياء ؟ ستظل هذه الأرض مشتاقة الى الدماء .

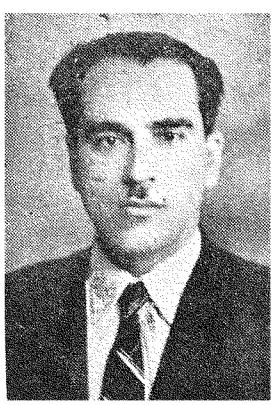

خليل الهنداوي